

الباب السابع

الدير كتوار (حكومة الادارة)

أكتوبر سنة ١٧٩٥ — نوفمبر سنة ١٧٩٩

الفصل الأول

الادارة وفرنسا

اجتمع مجلسا (الادارة) في ٢٧ اكتوبر سنة ١٧٩٥ بعد أن انحل المؤتمر واشتغل مجلس الشيوخ بانتخاب المديرين الخمسة فلما تم ذلك وكلمات هيئة هذه الحكومة الجديدة رأى المديرون انهم على رأس حكومة كجحر الضب أو هي أخرب . إذ لم يكن بالقاعة التي أعدت لانعقادهم مكتب يجلسون حوله ولا ورق يكتبون عليه . وكانت الخزائن خاوية والجيش معطل الأجور والأمة بأسرها تشكو قلة الطعام . وكاد اليأس يمتلك قلوبهم عند ذلك لولا أن الأحزاب السياسية كانت قد سئمت النزاع فأغلقت.

الأندية ورجع الثائرون الى حقوقهم ومصانعهم . وعادت السكينة الى البلاد وانتظمت الحالة فى داخليتها نوعا ما .

وكان استقرار الحكومة على هذا النحو خليقا بأن يمكنها من مهادنة أعدائها وعقد صلح شامل معهم جميعا لولا أن معاهدة (بازل Basl) — أبريل سنة ١٧٩٥ — التى انسحبت بعدها بروسيا من التحالف الدولى الأول كانت سببا فى أن تجدد انجلترا عهدا مع النمسا على العمل بمفردهما لمقاومة الثورة واسترداد ما استولى عليه رجالها فى هولنده وغيرها ، ولم يكن لفرنسا من القوة البحرية ما يمكنها من مواجهة انجلترا فحولت جهودها الى النمسا . ورسم كارنو (Carnot) خطته لمهاجمة بروجيه ثلاثة جيوش اليها سار أولها عن طريق (الماين) تحت قيادة جوردان (Jourdan) . وسلك ثانيها طريق الطونة تحت قيادة مورو (Mouro) . وولى نابليون قيادة ثالثها ليقوم ببعض مناوشات فى ايطاليا تكون سببا فى توزيع جيوش النمساويين بين ألمانيا وايطاليا . حتى يتسنى للجيشين الرئيسيين الانتصار على الأرشيدوق شارل قائد الجيوش النمساوية فى ألمانيا . ولكن أبت نفس ذلك الضابط الفتى الا أن يكون بطل هذه الحرب وفارس ميدانها . فلم تلتحم فرقته بجيوش أعدائه حتى بهر أبصار أوروبا بكراته وانتصاراته .

الفصل الثاني

نشأة نابليون - حياته الأولى

كانت أمه ليتيشيا رامولينا سيدة كورسيكية من الطبقة الوسطى وكان أبوه شارل بونابرت من سلالة أسرة شريفة نشأت في تسكاني (Tuscany) بإيطاليا . ولكنها أصابها الفقر وأخنى عليها الدهر فهاجرت الى كورسيكا وهناك ولد نابليون في مدينة (أجا كسيو) في الخامس عشر من شهر أغسطس سنة ١٧٦٩ ولم يكد يبلغ العاشرة من عمره حتى أدخله أبوه مدرسة (برين) الحربية في فرنسا حيث قضى خمس سنوات ونصف كان في غضونهما يقدم اسمه في تقرير المدرسة الى الملك لامتيازهِ في دروس الرياضة وسعة اطلاعه على التاريخ والجغرافيا . وفي سنة ١٧٨٤ غادر برين ودخل مدرسة باريس الحربية ونال بعد سنة فيها رتبة ملازم ثان في المدفعية الفرنسية .

حياته العملية

وانصرف في ذلك العهد الى الشؤون الكورسيكية بكلية وكان شديد الكراهة لفرنسا نظرا لأن بلاده (كورسيكا) كانت اذ ذاك

تابعة لجنوا فقام فيها حزب يسعى لتحقيق استقلالها وكادت تتوج جهوده بالنجاح لو لا أن تقدمت فرنسا لشراء هذه الجزيرة بها فأسرعت جنوا الى بيعها وتسليمها . وبذلك اعترضت فرنسا طريق أبتائها المجاهدين وقضت على آه الهم الوطنية .

على أن نابليون انضم الى جانب الشعب في الثورة الفرنسية عند قيامها ثم اعتزل مركزه فيها وعاد الى كورسيكا طمعا في أن يكون قائدا لحدى فرق الحرس الوطني في أجا كسيو . فلما لم يفلح عاد الى فرنسا مرة أخرى مع أسرته وفي سنة ١٧٩٣ كان قائد المدفعية في حصار تولون ورفع بسبب فوزه في هذا الميدان فوق مرتبته . وفي سنة ١٧٩٤ اتدبته لجنة الأمن العام لقضاء مهمة سياسية في جنوا وسقط بعد ذلك روبيير . وكان نابليون ممن أوقفوا وسجنوا في خلال تلك العاصفة . ولم يفرج عنه الا « لاحتمال نفعه » في المستقبل . واستعان به بعد ذلك (بارا Barras) لحماية المؤتمر من التأثيرين كما أسلفنا . ولم يمض على ذلك قليل حتى عين في ٩ مارس سنة ١٧٩٥ قائدا عاما لجيش ايطاليا الذي أعد لغزوها وهو لم يبلغ من العمر الا خمسا وعشرين سنة .

وفي مساء ذلك اليوم التاريخي تزوج بجوزفين بوهارنيه صديقة بارا وأرملة أحد أشراف فرنسا الذين ذهبوا ضحية مقصلة الثورة الفرنسية

الفصل الثالث

الحملة الإيطالية

لما وكل أمر هذه الحملة الى نابليون رأى أن يجعل قاعدته الحربية بين مدينتي نيس وجنوه على ساحل البحر الأبيض المتوسط ثم يزحف من هناك على سهول ايطاليا الشمالية ولكن جيوش النمسا وحليفاتها سردينيا كانت منتشرة على الجبال التي توازي الساحل شمالا لتسد الطريق أمامه ولمنعه من الزحف على تلك السهول .

ولم تكن تزيد قوة نابليون على ١٠ ألفا من الشبان الفرنسيين حديثي العهد بالجندية والذين لا خير فيهم إلا أنهم كانوا شبانا أقوياء امتلأت قلوبهم حماسة ونشاطا . وهم فيما عدا ذلك ضائعون بين ملابس رثة ممزقة وأطعمة رديئة قليلة ومرتبات معطلة ضئيلة ولم يكن في خيول هذه الحملة كلها أكثر من مائة حصان تصلح للعمل . فكان في تولية شاب حديث السن مثل نابليون على حملة مضعضة مثل هذه الحملة ضرب من ضروب التفكه في مراعاة النظر . وظن كثير من الناس أنه من خرق رأى

الحكومة أن تقوم بمثل هذه الأعمال .

أما نابليون فان زيارته لتلك البلاد سنة ١٧٩٤ أعانته على القيام بواجبه خير قيام . كما أنه اتخذ ما كانت عليه فرقة من سوء الحال وسيلة لا حراز النصر حيث أطمع رجاله في وفرة الغنائم التي يطررها النصر تحت أقدامهم واليك أول خطاب وجهه الى جنده حين أشرف على سهول لمباردى :

« أيها الجند . انكم والله لجياع عراة . وان الحكومة لمدينة لكم ولكنها لا تستطيع أن ترفع عنكم سوء حالكم . وأن صبركم على ذلك وتجلكم لن يجدياكم غير الشرف . فلا كسب فيهما ولا نفع . وهاءنا أقودكم الى أخصب سهول العالم حيث المدن العظيمة والغنى الوفير بل حيث تجدون الشرف والعزة ولذات الحياة . فيا جنود جيش ايطاليا . أو تنقصكم في ذلك الشجاعة ؟ ! » .

فقابل الجند هذا الخطاب بالهتاف وانسابوا من خلف قائدهم على النمساويين وكان أهل سردينيا في حلف معهم كما أسلفنا ورأى نابليون أنه لا يقوى على مواجهة الخصمين متحدين فعمل على مقابلة كل منهما بمفرده . فأنزل ضرباته الأولى على قلب الجيش النمساوى حتى صدعه . ثم أسرع الى السردانيين فتعقبهم حتى كاد يبلغ حاضرة بلادهم (تورين) فبادروا بمهادنته ونزلوا له عن

المعادل العظيمة التي تعتبر مفتاح إيطاليا من هذه الناحية .
وكان في عزم نابليون بعد فراغه من إيطاليا أن ينضم إلى
جيشي جوردان ومورو لمهاجمة النمسا في الشمال . ولكنه علم أن
الفوز كان للارشدوق شارل عليهما حيث ردهما إلى ما وراء الين
وبذلك استطاعت النمسا أن تبعث بنجدياتها إلى مدينة مانتوا التي
كان يحاصرها نابليون في سهل (البو Po) فأخذ عدته للقاء هذه
النجديات وشتتها واحدة بعد واحدة وانتهى الحال بحامية مانتوا
أن فتحت له أبوابها في فبراير سنة ١٧٩٧
ولما لم يبق أمام بوناپرت مجال للقتال في إيطاليا رقى بفرقته
جبال الألب . وانحدر منها إلى سهول النمسا الجنوبية . فارتد إليه
الارشدوق شارل والتحم معه في عدة معارك متتابعة كان النصر
فيها جميعا لنابليون وما زالت تتقدم جنوده حتى بلغ مدينة ليوبن
(Leoben) وهي تبعد عن فينا ٨٠ ميلا فقط فتقدمت إليه رسل
النمسا في طلب الهدنة . وعقدت بعد ذلك معاهدة كامبو فورميو
(Campo Formeo) التي تقرر فيها أن تنزل النمسا لفرنسا عن
البلجيك ولايات غرب الين في نظير أن تستولى هي على
البندقية . وبلغت قيمة الأموال التي أرسلها نابليون إلى حكومة
الإدارة خلال هذه الحملة خمسين مليوناً من الفرنكات .

الفصل الرابع

الحملة المصرية

غادر نابليون فرنسا في بدء الحملة الإيطالية ضابطاً نكرة لا يعرفه إلا أفراد قلائل من رجال الجندية ورجال الحكومة الفرنسية ولكنه عاد إليها بعد انتصاراته الباهرة علماً مشهوراً لا يتحدث الناس إلا بما صنع ولا يتطلعون إلا حيث طالع . والتفت حوله الشعب وخشى المديرون على نفوذهم أن يخسف أمام هذه الشخصية الساطعة فودوا لو تخلصوا منه وأبعدوه عن فرنسا . ورأى نابليون بدوره أن الحرب هي التي رفعتة إلى هذه المنزلة السامية . وأن الحرب هي التي تحتفظ له بها . فأطال التفكير في التماسها . وجد في البحث عن ميدان جديد يتسع المجال فيه لمواهبه وما كان يملأ صدره من الآمال .

وكانت إنجلترا لا تزال على عدائها لفرنسا بعد أن انحل التحالف الأول وانسحبت الدول التي اشتركت فيه واحدة واحدة فعول نابليون على نزالها ولكنه رأى أن يحاربها في مستعمراتها الشرقية وأن يبدأ بغزوم مصر ليجعلها قاعدة حربية له يسير منها جيوشه إلى ولايات

الهند . ورأت الحكومة أن هذا يحقق فبكرتها في ابعاد نابليون عن فرنسا فاستحسنّت هذا الرأى وبذلك اتفقت الآراء جميعها على القيام بهذه الغزوة وأعدت معداتها . و وكل أمر تنفيذها الى نابليون .

وفي ١٩ مايو سنة ١٧٩٨ خرج نابليون من ثغر طولون بجيشه ومراكبه سرا . لأن إنجلترا بعد أن وقفت على نواياه أرصدت له « نلسون » أميرال البحر الانجليزى ليحول دون وصوله الى مصر . ولكن زو بعة قامت في ذلك اليوم اضطرت نلسون الى العدول نحو الشاطئ قليلا . فانسابت مراكب نابليون في عرض البحر وبلغت « مالطا » ثم انتهت الى الاسكندرية في أول يولييه سنة ١٨٩٨ حيث أعلن نابليون احترامه للإسلام والمسلمين وأنه انما أتى من قبل السلطان لطرد المماليك ونصرة المصريين عليهم . فلم يلاق مقاومة من الشعب . وكل ما أبداه المماليك من المقاومة أن زعيمهم مراد بك حاول لقاءه في شبراخيت كما حاول صده في امبابة فخاب أولا وثانيا . ودخل نابليون القاهرة في ٢٤ يولييه حيث جاءه نبأ (موقعة النيل) التي حطم فيها نلسون مراكبه عند « أبى قير » .

ولما رأى نابليون أنه انقطع بذلك عن فرنسا وجه جيوشه

الى الشام لتعويض هذه الخسارة فاستولى على العريش وغزا ويافا ثم حاصر عكا حصارا طويلا تكبد فيه خسائر فادحة واضطر في آخر الأمر الى رفع الحصار.

ولقد بلغه في ذلك الحين من أخبار فرنسا وارتباك حكومة الادارة وقيام الدول بتحالف ثان عليها ما جعله يفكر في العودة اليها لاسيما بعد أن فشلت الحملة المصرية وضاع كل ما كان قد علق عليها من الآمال^(١).

غير أنه لم تكبد تطأ قدماء أرض مصر حتى علم بوصول حملة عثمانية الى أبي قير . فسار اليها من فوره وردّها على أعقابها ثم عهد الأمر في الديار المصرية الى الجنرال كليبر أحد قواده . وسافر سرا في الثاني والعشرين من شهر أغسطس الى الاسكندرية . واستقل من هناك زورقا صغيرا حمله هو وجماعة ممن معه الى فرنسا فوصلها في أكتوبر سنة ١٨٩٩

(١) كان نابليون يعجب بتاريخ الاسكندر المقدوني وكان يحلم بإنشاء امبراطورية في الشرق تضارع امبراطوريته .

الفصل الخامس

انقلاب برومير (١)

بينما كان نابليون يقوم بعزواته في مصر وسوريا كانت الادارة تريد أن تثبت أن في فرنسا غير نابليون قوادا أكفاء وساسة عظماء ينشرون نفوذها ويعلمون كلمتها . فسيرت جيشا الى روما قلب حكومتها البابوية الى جمهورية بعد أن قبض على البابا نفسه وهو اذذاك في الثمانين من عمره وأرسله الى فرنسا أسيرا حيث قضى نحبه سنة ١٧٩٩ م .

وكانت سويسرا بحكم متاخمتها لفرنسا قد تأثرت بمبادئ الثورة وقام أهلها بفتنة ضد حكومتهم يسعون الى قلبها واقامة حكومة جمهورية فيها كحكومة فرنسا . فانتهزت الادارة هذه الفرصة واحتلت البلاد السويسرية وقلبت نظامها الاتحادي الى نظام جمهوري . وكانت كذلك قد اتسعت اطماعها في ايطاليا فاستولت على بيدمنت وتسكانيا ونابولي وحملت جنوا على اعلان الجمهورية .

(١) برومير اسم الشهر الذي يوافق شهر نوفمبر في التقويم الذي وضعه

رجال الثورة .

ولكنها عجزت بعد ذلك عن الاحتفاظ بنفوذها في هذه الدائرة الواسعة فما كادت الدول تحس ذلك منها حتى تألف ضدها تحالف جديد دعت اليه انجلترا بقية أوروبا فاشتركت فيه :

(١) النمسا حبا في أن تستعيد نفوذها في ايطاليا .

(٢) وتركيا التي ضاعت مصر من يدها .

(٣) وروسيا التي لم يرقها تدخل فرنسا في الشرق .

وتقدمت جيوش المتحالفين ضد فرنسا في كل مكان وألحقت بالجيوش الفرنسية خسائر فادحة كانت هي السبب في اضطراب الإدارة وتزعزع مركزها . والاسراع في عودة نابليون من الشرق وكان الرأي السائد بين الفرنسيين اذذاك أن نظام الإدارة لا يتفق مع سياسة التوسع الذي تريده فرنسا لأن تشعب السلطة في أيدي كثيرة من شأنه أن يربك الأمور لا سيما في أوقات الحروب . ولذلك اتجهت الأنظار الى قلب هذا النظام .

وقام فعلا (الأبى سيايس Abbè Sieyes) أحد المديرين الخمسة بوضع مشروع جديد للحكومة فرنسا جعل السلطة التنفيذية فيه بيد قنصلين : أحدهما للسلم والآخر للحرب ، ومن فوقهما رئيس صوري لتمثيل البلاد تمثيلا سياسيا على أن يكون له حق عزل القنصلين الآخرين . أما هو فيكون أمر عزله في يد مجلس

الشيوخ . ووزع السلطة التشريعية بين عدة مجالس حتى لا تستأثر بها هيئة خاصة . فخصص مجلسا لوضع مشروعات القوانين وآخر لمناقشتها ودرسها . وثالثا للاقتراع على قبولها أو رفضها ثم جعل من وراء كل هؤلاء مجلسا للشيوخ يحتفظ أعضاؤه بكراسيهم مدى الحياة ليكونوا قوامين على هذا الدستور وليكون في بقائهم ضمان لبقائه .

فلما وصل نابليون من مصر ورأى أن الفرصة مهيأة لاجتماع الانقلاب الذي كان يبنى نفسه به ركز عزمه على أن يكون صاحب الشأن الأول في نظام الحكم الجديد . وكان طبيعيا أن يضع يده في يد (سيائيس) أقدر المشرعين الدستوريين في فرنسا في ذلك الوقت . فتم الاتفاق بينهما على قلب نظام الحكومة الحاضرة أولا حتى يفسح الطريق بعد ذلك لتنفيذ المشروع الذي وضعه سيايس . وفي الثامن عشر من برومير (٩ نوفمبر) بدأ سيايس بتقديم استقالته من عضوية الديركتوار وتبعه في ذلك زميله ديكو (Ducos) وحمل بارا على الاستقالة كذلك . فسقطت الهيئة كلها . ودعى المجلسان الى الاجتماع والنظر في معالجة الحالة ولكن ألقى في روع مجلس النواب أن مؤامرة تدبر لأعضائه في باريس فأغرى بذلك على قبول الانتقال مع مجلس الشيوخ الى ضاحية سان كلود

(St. Cloud) وكان المقصود باخراجه من باريس في الحقيقة أن يكون بعيدا عن حماية الشعب الباريسي وأن يقع مباشرة تحت تأثير الارهاب الذي قصده به نابليون حتى لا يعارض في احداث الانقلاب .

وسار نابليون بنفسه الى سان كلو في كوكبة من جنوده المخلصين حتى دخل مجلس الشيوخ وهناك ألقى خطابا قال فيه ان نظام الحكومة الحالية أصبح عديم الفائدة وأنه ترك فرنسا زاهرة زاهية ولكنه وجدها عند عودته اليها ذابلة ذاوية وأن جنودها فشلوا في جميع الميادين وأصابهم الخذلان وأنه هو وحده الذي صادفه التوفيق ولاخطته العناية . ثم دعا الى ضرورة تغيير نظام الحكومة .

وكان من المستمعين لهذا الخطاب بعض أعضاء مجلس الخمسمائة فحملوا فخواه الى زملائهم في مجلس النواب وما كاد يدخل عليهم نابليون بعد ذلك حتى صاحوا في وجهه :

« كرومويل ! فليسقط المستبدون ! »

اشارة الى أنه يريد أن يفعل بهم كما فعل كرومويل بالانجليز ثم أوسعوه لعنا وسبا وأخذوا بخناقه ودفعوه الى خارج المجلس . فاحتمله أعوانه وخرجوا به من القاعة فاقد الصواب وكاد يدركه

وأنصاره الفشل لولا أن أمر أخوه لوسيان بونابرت (وهو اذ ذاك رئيس المجلس) باخلاء قاعة الاجتماع فدخل الجنود بسلاحهم وهجموا على النواب ففر هؤلاء أمامهم من الأبواب والنوافذ أيضا في حالة ذعر وفزع شديد .

وفي مساء ذلك اليوم المشهود عاد من النواب خمسون عضوا من الموالين لحركة الانقلاب واشتركوا مع مجلس الشيوخ في اصدار قرار بتشكيل حكومة مؤقتة من نابليون وسياس وديكو لإدارة شؤون البلاد ريثما يتم وضع دستور جديد عهد تحضيره الى لجنة من المجالسين تعمل تحت اشراف الحكومة المؤقتة .

وعند ذلك تقدم سياس بمشروعه الذى ظل حتى هذه الساعة سرا مطويا فى صدر صاحبه حتى أن نابليون نفسه لم يكن يعرف شيئا من تفصيلاته . ولكنه ما اطلع عليه ورأى توزيع السلطة فيه على النحو الذى سبق بيانه والذى لا يتحقق معه مقصده حتى قال : « ما أكثر ما أودعه سياس من الخيالات ! فان به لخيالا للسلطة التشريعية وآخر للسلطة القضائية وثالثا كهيئة الحكومة . وانى لأراه فى حاجة الى شىء من السلطة المادية ! » .

وليس بخاف أين كان يريد نابليون أن يضع هذه السلطة المادية . فانه كان منذ البداية قد عقد النية كما أسلفنا على أن

يكون سيد فرنسا . فتناول المشروع بالتعديل والتبديل حتى أصبحت السلطة التنفيذية في يد ثلاثة قناصل يتولى احدهم الرئاسة على زميليه ويكون له وحده حق اعلان الحرب وتوقيع المعاهدات وانتخاب الوزراء وكبار الموظفين ورأسه الجيش والادارة أما السلطة التشريعية فأصبحت تتألف من ثلاث هيئات : (أولاها) مجلس الشيوخ وكان عمله مقصورا على انتخاب أعضاء المجالسين الآخرين والاشراف على تطبيق أحكام الدستور (وثانيتهما) مجلس التريون (Tribunat) الذي اختص بدرس مشروعات القوانين والمناقشة فيها .

(وثالثتها) هيئة تشريعية جعل اختصاصها ابداء الرأي فيما يعرضه عليها مجلس التريون من المشروعات . إما بالقبول وإما بالرفض .

وقد عرض هذا النظام على الأمة فوافقت عليه أغليتها العظمى وانتخب نابليون قنصلا أولا لمدة عشر سنوات . وعرض على سياسيين أن يكون أحد القنصلين الثانيين ولكنه رفض أن يشغل مركزا صوريا لا سلطة لصاحبه ولم يقصد به نابليون إلا ذر الرماد في العيون حتى لا يتهم بأنه يعمل بمفرده . فعرضت عليه

عند ذلك رئاسة مجلس الشيوخ .

وهكذا عادت الحكومة في فرنسا سيرتها الأولى . وانتهت مقاليد الحكم فيها الى رجل واحد . وانقشع غبار الثورة ومعاركها الدموية عن قصر التويلرى يسكنه نابليون وجوزفين بعد أن كان يسكنه لويس وماريته . وانهزمت أمام القنصل الأول وسلطته المطلقة مبادئ الحرية والأخاء والمساواة وامتلات مناصب الحكومة بشيعته وأنصاره .

وأصبح النقد المباح جرماً لا يغتفر في حكومة نابليون الجديدة من أجله ينفي من فرنسا أمثال مدام دي ستايل (M^{me} de Staël) الصحفية القديرة التي جعلت دأبها مهاجمة استبداده والحملة عليه وعلى أعوانه .

ولم يعد يسمع من صوت في فرنسا إلا ما كان صدى لآرائه وأفكاره .

وأصبحت سياسة الدولة في الداخل والخارج لا ترسم وفقاً لما يحسه الشعب أو تتطلبه المصلحة العامة . ولكن لتكون أداة لتحقيق أطماع القنصل الأول وتأويل أحلامه .



خاتمة

على أن الحوادث التي مكنت لنابليون في فرنسا فجعلته على رأس حكومتها أولاً ثم أمبراطوراً عليها فيما بعد لم تلبث أن تطورت فأصلحته هو وأمبراطوريته الى القضاء ، وأعادت فرنسا من جديد الى أسرة (بوربون) .

فرجع لويس الثامن عشر ملكاً عليها كما كان أجداده من قبل . وورثها من بعد موته (سنة ١٨٢٤) أخاه شارل العاشر الذي كان استبداده برعيته وخروجه عن الحد في عدم الاكتراث بها سبباً في ثورة جديدة تعرف (بثورة سنة ١٨٣٠) أو ثورة (الأيام الثلاثة)

وجاء من بعد شارل هذا لويس فيليب بن (فيليب المساواة) (Philippe Egalité) وأقام في فرنسا حكومة ديمقراطية كانت جمهورية المعنى ملكية الاسم غير أنها لم تعمر طويلاً . وقامت ثورة أخرى في سنة ١٨٤٨ بسبب انحراف لويس فيليب عن مبادئه الديمقراطية الأولى وبذلك دخلت فرنسا في عهدها الجمهوري الثاني وبقيت كذلك تحت رئاسة لويس نابليون الى أن سولت له نفسه السير على منوال خاله نابليون الأول فقلب

الجمهورية الى امبراطورية ووضع على رأسه تاجها باسم (نابليون الثالث).

غير أن عهد هذه الامبراطورية الثانية كان أكثر شؤماً على فرنسا من عهد الامبراطورية الأولى فإن البلاد ما زالت تخرج من حرب لتدخل في أخرى حتى تورطت في الحرب السبعينية التي انتهت سنة ١٨٧١ بهزيمة فرنسا وخلع نابليون وإقامة الجمهورية الثالثة التي بقيت في فرنسا الى اليوم.

وخائق بنا قبل أن نختتم هذه الرسالة أن نقف قليلاً لنتساءل عما اذا كانت الثورة الفرنسية قد حققت غاياتها — ولا مندوحة لنا عند الاجابة على هذا السؤال من التذكير بأن الثورة قامت في وجه حكومة مستبدة ونظام اجتماعي فاسد . فأما الحكومة المستبدة فقد صارعتها الثورة حتى صرعتها ولكنها الأمة الفرنسية عانت في هذا السبيل أشق الأهوال . فانها ما زالت تقيم الحكومة بعد الحكومة حتى عرفت بالتجارب أن الفرد لا يمكن أن يكون موضعاً للثقة وأن الأثرة لا تزال تجنح بأطهر النفوس وأشدّها إخلاصاً حتى تميل بها الى الاستبداد وان أليق النظم ما كانت الرياسة فيه لأجل قصير لا تفرخ فيه الأطماع ولا تطير . فاجأت

الى نظام الحكم الجمهورى حيث تتولى الأمة جميع السلطات وجعلت انتخاب رئيس الجمهورية لمدة سبع سنوات فقط ولكنها حظرت أن ينتخب للرئاسة أحد أفراد الأسرات التى تولت الملك فى فرنسا . وبذلك عاجلت أول أدواؤها وأصبحت آمنة من هذه الناحية ما دامت مستمسكة بهذا النظام .

وأما فساد المجتمع ونظام الطبقات فقد سبق الفصل فيه منذ المعركة الأولى حيث قررت الجمعية الوطنية انقضاء عهد الاقطاع وقام العامة فى الأقاليم بتطهير فرنسا تطهيراً عملياً من أشرفها وأصحاب الامتياز فيها . وبزعم ملكية قطائعهم الواسعة وتمليكها للأمة لاستغلالها والانتفاع بما كان محبوساً عنهم من ثمراتها .

وخلاصة القول ان الثورة كانت نتائجها خطيرة عظيمة بقدر ما كانت ضحاياها كثيرة أليمة . وبما لا شك فيه أنها شقت بجهودها الدامية طريقاً طويلاً قرب كثيراً بين الانسان ومثله الأعلى فى بعض النظم الاجتماعية والحكومية .

انظر الى المجتمع الفرنسى كيف كان قبل الثورة موبوءاً ببطائفة من النظم العتيقة الفاسدة . كنظام السخرة . ونظام الاحتكار . ونظام الامتيازات . والتفريق بين الطبقات . ثم انظر اليه بعد الثورة كيف أصبح بريئاً من شوائب هذا التأخر وكيف أقام أنظمته

الحديثة على مبادئ الحرية والاخاء والمساواة . وجعل قاعدة دستوره أن الناس يولدون ويعيشون أحرارا وأنهم متساوون في ما لهم من الحقوق وما عليهم من التكاليف . وأنه لا فضل لرجل على رجل آخر الا بما تميزه به كفاءته .

وتأمل في حكومة فرنسا قبل الثورة كيف كانت أداة لتحقيق الاطماع الشخصية وكيف انتشرت الفوضى في ظل استبدادها فتناولات نظام التشريع ونظام القضاء ونظام الضرائب وغير ذلك من النظم . ثم تأمل فيها كيف أصبحت بعد الثورة في يد الشعب يديرها نوابه بما فيه صالح المجموع . وكيف كان هؤلاء النواب في مراكزهم رمزا (لسيادة الأمة) ومظهر آمن مظاهر (الديمقراطية) التي هي اليوم غاية كل الحكومات ومطمح كل الشعوب !

من أجل هذا اكتسبت الثورة أهميتها . ومن أجل هذا قلنا انها قاربت بين الانسانية ومثلها الأعلى في المجتمع وفي الحكومة ومن أجل هذا سيظل التاريخ يحفظ لضحاياها أنهم عبدوا لآخوانهم من بعدهم هذا الطريق